

الرسالة الحقيقية للمرأة

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

لا شك أن رسالة المرأة الحقيقية في الحياة هي أن تكون عضوا نافعا في المجتمع ، تعمل على رقيه والسمو به عن طريق وظيفتها الطبيعية المقدمة ، وظيفة الأم وسيدة المنزل . وليست دائرة المنزل صغيرة كما يتصور البعض ، فهي رحبة متشعة لها خطورتها ومسئولياتها التي لا يتحمل أعباءها غير المرأة ، ولا يدير دفتها الفنية غير يد المرأة .

وكما أن الرجل على قوته أجهل الناس بالقيام بأعباء المسؤولية الداخلية لدائرة المنزل ، فالمرأة على ضعفها أعرف الناس بتسييرها وحسن إدارتها بطريقة سهلة رسمتها لها طبيعتها الأنثوية الرقيقة .

وبدبهي أن المرأة لو تخلصت عن تلك الوظيفة التي هي حق لها ولا تدخل فيها لأحد سواها ، لصار مصير الأسرة حتما إلى الفشل والتفكك ، ومتى تهدمت الأسرة انهار الأساس ، ولا يمكن عندئذ أن يستقيم اللامة عماد إذا فقدت أساسها الذي تعتمد عليه في بناء مجدها . فالأسرة هي أساس المجتمع ، وهي الوحدة التي يتكوّن من مجموعها بناء الجيل ، فإذا تصدع ركن من بناء الوحدة تداعى البناء كله ، وانهار المجتمع .

وإذا كان بعض النساء يزاحن الرجال الآن في ميادين الأعمال ، فهن أعرف من غيرهن بأنهن يناطن طبيعتهم ، وأنهن يقفن بها موقفا عكسيا . فلا شك أن طبيعة المرأة ورفقتها أكبر دليل على أنها لم تخلق لاضال في ميادين الأعمال الشاقة التي تتطلب مجهودا قاسيا لا يتحمله غير الرجل ، ونضالا جبارا لا يقوى عليه سوى الرجل .

ومن الغريب حقا أننا لا نزال نتخبط في حقيقة رسالة المرأة ، وأن تجهل المرأة نفسها حقيقة هذه الرسالة ، فزاهها قد تركت طريقها الطبيعي المعبود إلى طريق آخر شائك ليس لها وإن تكون له إلا إذا فقدت أنوثتها وصارت امرأة مسترجلة لا تنسب لأحد الجنسين .

ولا غرو في أن هذا النوع من النساء قد أساء إلى المرأة المثقفة اساءة تركت المجال مفتوحا أمام أعداء المرأة لمحاربتها وانتقاص أعمالها، والتنديد بعدم صلاحيتها لإدارة شؤون المنزل .



قرأت ما كتبه إحدى المجلات تحت عنوان "المرأة" ، وهل تحكم العالم" فدهشت لمجرد السؤال ، لأن المرأة وإن كانت تحكم عالمها المترلي الصغير بدقة وبراعة ، فالتاريخ يحدثنا بأنها قد فشلت دائما في توليها حكم البلاد ، وأنها كانت دائما امرأة أولا وأخيرا قبل أن تكون ملكة وحائمة . ومن ذلك نرى أن مجرد هذا السؤال كان قفزة خطيرة إذ هو تفكير في أمر بعيد الاحتمال .

ولهذه المناسبة ، مناسبة تعليم المرأة ، أقول إن الكثير من الرجال والنساء ، يفهمون التعليم والثقافة على أنهما وسيلة من وسائل العيش ، فيتعلمون لتليل الشهادة فقط . وبعد أن ينال الواحد أو الواحدة شهادة التي يتذرع بها لتليل الوظيفة ، قلما نراه مهتما بزيادة معلوماته أو التوسع في ثقافته .

ومن هذا فهم الجميع أن التعليم هو سلم لتليل الشهادة أو على الأصح للحصول على الوظيفة ، ومضى هذا الاعتقاد إلى المرأة فرأت هي الأخرى أنه لا بد لها من الوظيفة أيضا كي تثبت للرجل أنها تنف منه على قدم المساواة .

إن الثقافة كما يجب أن نفهمها جميعا غاية نفسها ، وليست الشهادة إلا كدشان معنى يكافأ به المجتهد ، ولكنها ليست الغاية التي نسمى إليها بالتعليم . فالغاية من التعليم هي المعرفة أولا وآخرا ، والمعرفة وحدها هي الشهادة الصحيحة والتاج المرصع بأجمل الأحجار الكريمة ، فإذا لم نستطع أن نضيف إلى التاج ثمرة بحثنا وتنقيبنا من نفائس الأحجار ، فعلى الأقل يجب أن نحفظ بأحجاره حتى لا تغير عليه أحداث السنين .

فإذا تعلم الرجل وإنما للعلم ذاته ، وإذا تثقفت المرأة وإنما للثقافة ذاتها ، أما وظيفته أو وظيفتها في المجتمع ، فكل لما خلق له ، وكل لما يؤهله له استعداده وميوله الطبيعية .

فتعليم المرأة ليس إلا نورا يهديها إلى طريق وظيفتها الصحيحة في الحياة ، وهو الذي يؤهلها لأن تكون فردا عليه واجب من اسمي الواجبات وأقدمها .

•••

وقد قرأت عن الملكة فكتوريا ملكة الانجليز أنها اشتهرت برقة الفؤاد وشدة الشفقة على عائلتها ، وقد أحببت زوجها الأمير "البرت" وعرفت له حتموق الزوج على زوجته ، وكانت في حياتها معه لا ترى في نفسها إلا زوجة بارة لا ملكة قوية السلطان . وبما يحكى عنها أنها ارادت مرة أن تدخل على زوجها في مكتبه حيث كان مشغولا بالمطالعة ، فضربت الباب بيدها ، فسأل : من بالباب ؟ فقالت "ملكة انجلترا" . فلم يرد عليها . فعادت قرع الباب ، فكرر السؤال : من بالباب ؟ . فأجابت "زوجتك" . ففتح لها الباب وقال مبتسما : "إني أعرف أن زوجتي في بيت . لكنى لا أعرف أن ملكة انجلترا فيه" .

وهذا خير مثال يقدم للمرأة . فإن زوج أعظم ملكة في العالم لم ير لها في منزله إلا منزلة الزوجة من الرجل وهي لم ترفى نفسها إلا ذلك

ويحضرني الآن موضوع اعترضنى الأسيوع الماضى ، فقد عرضت على إحدى الجمعيات أن التى محاضرة فى موضوع : "المرأة وعضوية البرلمان" وأن أحيد هذا الموضوع وأطالب للمرأة بهذا الحق ، فلم أتمالك ساحتها من الابتسامة ساهرة ، وقلت فى نفسى : إذا كانت المرأة ستكون عضوا فى البرلمان أيضا ، فما الذى ستؤول إليه حال الرجل ياترى ؟ . لا بد إذن أن تنقلب الأوضاع وتمتحنى صفة قرب الأسرة من الرجل فيختص بشؤون البيت ، ويلاحظ الخدم ، ويشرف على شؤون المطبخ وإطعام الأولاد وتربيتهم ، ويتدبر المنزل ! ! . .

لعمري أن مجرد التفكير فى مثل هذا الموضوع جنابة فى حق المجتمع ، وتغيير للأوضاع وقلب للمقائق المجردة . فإذا جاز لنا أن نتساح فى اشتغال المرأة بمهنة الطيبة والمرضة والمطرزة ، لما تتطلبه تلك المهنة من صفات لا تتوافر إلا فى المرأة ، فلا يمكن أن نستسيغ مطلقا أن نراها عضوا فى مجلس البرلمان .

وإن كنا قد تقدمنا مرحلة كبيرة فى طريق الحرية والمغفور ، فلا يمكن أن يكون هذا إذا لنا على الطغيان والاستبداد ، أما إذا كان اعتقاد المرأة بأنها قد ظلمت فى العصور الغابرة على يد الرجل فقد سول لنا الانتقام من الرجل ومنافسته فى رزقه ، فبئس الانتقام .

وإذا علمنا أن كل وظيفة تشغلها امرأة تفعل بيتنا وتهدم أسرة ، عرفنا مقدار جنابة المرأة الموظفة على المجتمع ، فهى يجنابتها المزدوجة تسمى إلى الرجل وإلى نفسها . فبينما تراحم لرجل

في أبواب رزقه نراها تهدم نفسها بنفسها ، فان كانت فتاة قد أضلته شراهة المال ، فهي تقدم في سبيل هذا المال أنوثتها وشبابها قربانا ، ولا تلبث أن تصير عاننا منبوذة من الجميع ، فتندم حيث لا يفتح الندم ، وإن كانت متروجة فهي تبني حجرا لتهدم بيانا كاملا ، وهذا حق لا ريب فيه ، فتمتل المرأة الموظفة الذي تلعب الفوضى في أنثائه ، ويسوده الظلام ويشمله الإهمال ، وينعدم فيه الذوق الفني وهو ثمرة المعرفة والثقافة والتهديب هو متزل مصيره الى الانهيار .

ولست أنهم أن ترك المرأة منزلها وأولادها في رعاية الخدم يتطعمون بطبايعهم الوضيعة ومبولهم المنحطة ، فيشربون عليها ، ويتخلقون بها ، كي تذهب هي الى عملها في الديوان وتحصل بذلك على مرتب مهمما ارتفع فهو ان يعوصها ما استفقده في تركها المنزل ماديا ومعنويا .

ولا يخفى علينا ما سينجم عن هذه الأوضاع المقلوبة وهذا الجبن الشنيع ، بقرار المرأة من مسئولية المنزل وتبعاته من أضرار خطيرة ، كما لا يخفى علينا شعور زوج الموظفة عندما يعود الى منزله بعد انتهائه من أعماله ، فلا يجد العادة المنزلية التي كان يمكنه أن يجدها لو ازدان منزله بزوجة خيرة ، وربة بيت مثقفة حكيمة استطاعت باستقرارها أن تقيض على المنزل هدوءا وجمالا ، فضلا عن أن طبيعة الشرق لا تتفق بحال مع هذا التطرف المحقوت . ولا يمكن أن يكون سعيدا ذلك الذي يعرف أن زوجته تقضي يومها بين هذا وذاك من الرجال ، حتى وإن ادعى بعضهم ذلك . اللهم إلا إذا كان هذا الادعاء في سبيل غرض مادي يخفى ما بينهما من حب مفقود .

وخلاصة القول : إن للمرأة رسالة سامية في الحياة تجبرها الطيبة على أدائها ، ويجبرها الوطن الذي أراح لها أن تهذب وتنقف كي تستغل تلك الثقافة وذلك التهديب في العمل على السمو بهذه الرسالة وإبرازها في أكل وجوهها .

ولعمري لو علمت المرأة أن كنوز الأرض لا تسأهل تغليبها عن أنوثتها ، وابتعادها عن مملكتها الصغيرة ، لاستماتت في الدفاع عن هذه الملكة ، وعمت على رقيها والسوق بها ، ولتذتت لاستكمال رسالتها العظيمة في الحياة ، تلك الرسالة التي يتوقف عليها مصير البلاد وسعادة الأمم ما

زينب محمد حسين